واعلم ان للعلوم اوايل تودي الى اواخرها ومداخل تفضي الى حقايقها فليبتدي طالب
العلم باوايلها لينتهي الى اواخرها وبمداخلها ليفضي الى حقايقها ولا يطلب الاخر قبل الاول
ولا الحقيقة قبل المدخل فلا يدرك الاخر ولا يعلم الحقيقه لان البنا على غير اس لا يبنى
والثمر من غير غرس لا يجنى ولذلك اسباب فاسدة ودواعي واهية فمنها ان يكون
في النفس اغراض تختص بنوع من العلم فيدعو الغرض الى قصد ذلك النوع ويعدل عن
مقدماته كرجل يوثر القضا ويتصدى للحكم فيقصد من علم الفقه الى اداب القضاة وما
يتعلق عليه من الدعاوي والبينات او يحب الارتسام بالشهادة فيتعلم كتاب الشهادات
لئلا يصير موسوما بجهل ما يعاني فاذا ادرك ذلك ظن انه قد حاز من العلم جمهوره
وادرك منه مشهوره ولم ير ما بقي منه الا غامضا طلبه عنا وغويصا استخراجه
فنا لقصور همته على ما ادرك وانصرافها عما ترك ولو نصح نفسه لعلم ان ما
ترك اهم مما ادرك لان بعض العلم مرتبط ببعض ولكل باب منه تعلق بما قبل
فلا تقوم الاواخر الا باوايلها وقد يصح قيام الاوايل تركا للاواخر والاوايل فاذا
ليس يعرى من لوم وان كان تارك الكل الوم ومنها ان يحب الاشتهار بالعلم
اما لتكسب او لتجمل فيقصد من العلم ما اشتهر به من مسايل الجدل وطريق النظر ويتعاطى
علم ما اختلف فيه دون ما اتفق عليه ليناظر على الخلاف وهو لا يعرف الوفاق ومن
يجاول الخصومة وهو لا يعرف مذهبه مخصوص وقد رايت من هذه الطبقة عددا
قد تحققوا بالعلم تحقق المتكلمين واشتهروا به اشتهار المتحققين اذا اخذوا في
مناظرة الخصوم ظهر كلامهم واذا سيلوا عن واضح مذهبهم ضلت افهامهم
حتى انهم يتخبطون في الجواب خبط عشوا فلا يظهر لهم صواب ولا يتقرر لهم
جواب ثم لا يرون ذلك نقصا اذا انفقوا في المجالس كلاما موصوفا ولفقوا على
المخالف حجاجا مالوفا وقد جهلوا من المذهب ما يعلمه المبتدي ويتداوله الناشي
فهم دايما في لفظ مضل او غلط مزل وقد رايت منهم قوما يرون الاشتغال بالمذهب
تكلفا والاستكثار منه تخلفا وحاجني بعضهم عليه فقال لان علم حافظ
المذهب مستور وعلم المناظر عليه مشهور قلت وكيف يكون حافظ المذهب
مستورا وهو سريع الجواب كثير الصواب قال لانه ان لم يسيل سكت فلم يعرف

والمناظر

والمناظر ان لم يسيل سال فعرف فقلت اليس اذا سيل الحافظ فاصاب
بان فضله قال نعم قلت افليس اذا سيل المناظر فاخطا بان نقصه وقد قيل
عند الامتحان يكرم المرء او يهان فامسك عن جوابي لانه اذا انكر كابر
المعقول ولو اعترف لزمته الحجة والامساك اذعان والسكوت رضا ولان
ينقاد الى الحق اولى من ان يستفزه الباطل وهذه طريقة من يقول اعرفوني
وهو غير معروف ومن لم يعرف العلم لبعيد ان يعرف به وقال زهير
ومهما تكن عند امري من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم
ومن اسباب التقصير ايضا ان يغفل عن التعليم في الصغر ثم يشتغل
به في الكبر فيستحيي ان يبتدي بما يبتدي به الصغير ويستنكف ان يساويه
الحدث الغرير فيبدا باواخر العلوم واطرافها ويهتم بحواشيها واكنافها
ليتقدم على الصغير المبتدي ويساوي الكبير المنتهي وهذا ممن قد رضي بخداع
نفسه وقنع بمداهنة حسه لان مغنوله ان احتشم ومعقول كل ذي حس
يشهد نفسا بهذا التصور وينطق باختلال هذا التخيل لانه شي لا يقوم
في وهم والجهل بما يبتدي به المتعلم اقبح من جهل ما ينتهي اليه العالم وقال
الشاعر ترق الى صغر الامر حتى يرقيك الصغير الى الكبير
فتعرف بالتفكر في صغير كبيرا بعد معرفة الصغير
ولهذا المعنى واشباهه كان التعلم في الصغر احمد روى مروان عن حامد
عن اسماعيل عن ابي الدردا رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم مثل الذي يتعلم في صغره كالنقش على الحجر والذي يتعلم في كبره كالذي
يكتب على الماء وقد قال علي رضي الله عنه قلب الحدث كالارض الخالية مهما
القي فيها من شي قبلته وانما كان كذلك لان الصغير افرغ قلبا واقل شغلا
وايسر تبذلا واكثر تواضعا وقد قيل في منثور الحكمة المتواضع من طلاب
العلم اكثرهم علما كما ان المكان المنخفض اكثر البقاع ماء وقال ان يكون الصغير
اضبط من الكبير اذا عري من هذه المواضع واوعى منه اذا خلي من هذه الموانع
حكي ان الاحنف ابن قيس سمع رجلا يقول التعلم في الصغر كالنقش في الحجر